والارض وخلق الارواح والاجساد والمطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة معناً
في التفصيل ومستقصيا دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع
الصفات الملكية المقربة من الله نائلاً لتلك الصفات نيل اتصاف بها بل بينهما
من البون البعيد ما لا يكاد يحصى وفي تفاصيل ذلك وتفاديره يتفاوت الانبيا والاوليا
ولن يصل الى فهم كل الاجمال ولله المثل الاعلى المثال ولكنك تعلم ان العالم التقي
الكامل مثلا مثل الشافعي رحمة الله عليه تعرفه بواب داره ويعرفه
المزني تلميذه والبواب يعرف انه عالم بالشرع ومصنف فيه ومرشد خلق الله
اليه على الجملة والمزني يعرفه لا كمعرفة البواب بل معرفة محيطة بتفاصيل صفاته
ومعلوماته بل العالم الذي يحسن عشرة انواع من العلوم لا يعرفه تلميذه
بالحقيقة تلميذه الذي لم يحصل الا نوعا واحدا فضلا من خادمه الذي لم يحصل
شيئا من علومه بل الذي حصل علما واحدا انما عرف على التحقيق عشره ان
ساواه في ذلك العلم حتى لم يقصر عنه فان قصر عنه فليس يعرف بالحقيقة
ما قصر عنه الا بالاسم وابهام الجملة وهو انه يعرف انه يعلم شيئا سوى ما
علمه فكذلك فافهم تفاوت الخلق في معرفة الله تعالى فبقدر ما انكشف لهم من
معلومات الله تعالى وعجايب مقدوراته وبدايع اياته في الدنيا والاخرة والملك
والملكوت تزداد معرفتهم بالله وتقرب معرفتهم من معرفة الحقيقة فان
قلت فاذا لم يعرفوا حقيقة الذات واستحال معرفتها فهل عرفوا الاسما
والصفات معرفة تامة حقيقة قلنا هيهات ذلك ايضا لا يعرفه بالكمال
والحقيقة الا الله عز وجل لانا اذا علمنا ان ذاتا عالمة فقد علمنا شيئا مبهما
لا ندري حقيقته لكن ندري ان له صفة العلم فان كانت صفة العلم معلومة
لنا حقيقة كان علمنا بانه عالم علما تاما بحقيقة هذه الصفة والا فلا ولا
يعرف احد حقيقة علم الله تعالى الا من له مثل علمه وليس ذلك الا له فلا يعرفه
سواه وانما يعرفه غيره بالتشبيه الى علم غيره كما اوردنا من مثال
التشبيه بالسكر وعلم الله تعالى لا يشبه علم الخلق البتة فلا تكون معرفة
الخلق به معرفة تامة حقيقة اصلا بل ايهامية تشبيهية ولا تتعجب
من هذا فاني اقول لا يعرف الساحر الا الساحر نفسه او ساحر مثله
او فوقه فاما من لا يعرف السحر وحقيقته وماهيته لا يعرف من الساحر

الا اسمه

الا اسمه ويعرف ان له علما وخاصية لا يدري ما ذلك العلم اذ لا يدري معلومه ولا يدري ما تلك
الخاصية نعم يدري ان تلك الخاصية وان كانت مبهمة فهي من جنس العلوم وثمرتها تغيير
القلوب وتبديل اوصاف الاعيان والتفريق بين الازواج وهذا بمعزل عن معرفة
حقيقته ومن لم يعرف حقيقة السحر لا يعرف حقيقة الساحر لان الساحر من له
خاصية السحر وحاصل اسم الساحر انه اسم مشتق من صفة تلك الصفة ان كانت
مجهولة فهو مجهول وان كانت معلومة فهو معلوم والمعلوم من السحر لغير الساحر
وصف عام بعيد عن الماهية وهو انه من جنس العلوم فان اسم العلم ينطلق
عليه فكذلك العاقل عندنا من قدرة الله تعالى انه وصف ثمرته واثره وجود الاشياء
وينطلق عليه اسم القدرة لانا ايضا يناسب قدرتنا مناسبة لذة الوقاع لذة
السكر وهذا كله بمعزل عن حقيقة تلك القدرة نعم كلما ازداد العبد احاطة
بتفاصيل المقدورات وعجايب الصنع في ملكوت الارض والسماوات كان حظه من
معرفة صفة القدرة اوفر لان الثمرة تدل على المثمر كما انه كلما ازداد التلميذ احاطة
بتفاصيل علوم الاستاد وتصانيفه كانت معرفته له اكمل واستعظامه له
اتم فالى هذا يرجع تفاوت معرفة العارفين ويتطرق اليه تفاوت لا يتناهى
لان ما لا يقدر الادمي على معرفته من معلومات الله لا نهاية له وما يقدر عليه ايضا
لا نهاية له وان كان ما يدخل في الوجود منه شيء متناهيا ولكن مقدور الادمي
من العلوم لا نهاية له نعم الخارج الى الوجود متفاوت في الكثرة والقلة
وبه يظهر تفاوت الناس في المعرفة وهو كالتفاوت بينهم في القدرة الحاصلة
لهم بالغنى فالكل امره واحد يملك الدانق والدرهم دون آخر يملك آلافا فكذلك العلوم بل
التفاوت في العلوم اكثر واعظم لان المعلومات لا نهاية لها واعيان الاموال اجسام
والاجسام متناهية لا يتصور ان ينتفي النهاية عنها فاذا قد عرفت كيف يتفاوت
الخلق في بحار معرفة الله تعالى وان ذلك لا نهاية له وعرفت ان من قال لا يعرف الله الا الله
فقد صدق وان من قال لا اعرف الا الله فقد صدق ايضا فانه ليس في الوجود الا
الله وافعاله فاذا نظرت الى افعاله من حيث انها افعاله وكان مقصور النظر عليها
ولم يرها من حيث هي سماء وارض وشجر بل من حيث انها صنعه فلم تجاوز معرفته
حضرة الربوبية فيمكنه ان يقول ما اعرف الا الله وما ارى الا الله ولو تصور شخص
لا يرى الا الشمس ونورها المنتشر في الافاق لصح منه ان يقول ما ارى الا الشمس

Copyright King Saud University